سورةُ الأعلَى

الجزء الثاني

من الآية (2) إلى آية (8)

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾
سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ﴿٨﴾

قال ابن عاشور: الِافْتِتاحُ بِأمْرِ النَّبِيءِ ﷺ بِأنْ يُسَبِّحَ اسْمَ رَبِّهِ بِالقَوْلِ، يُؤْذِنُ بِأنَّهُ سَيُلْقِي إلَيْهِ عَقِبَهُ بِشارَةً وخَيْرًا لَهُ، وذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى﴾ [الأعلى: ٦] الآياتِ كَما سَيَأْتِي فَفِيهِ بَراعَةُ اسْتِهْلالٍ.

قال الشوكاني: أيْ نَزِّهْهُ عَنْ كُلِّ ما لا يَلِيقُ بِهِ.

أي نزهه عن كل ما لا يليق به في ذاته وصفاته، وأسمائه، وأفعاله، وأحكامه.

وقِيلَ المَعْنى: نَزِّهْ تَسْمِيَةَ رَبِّكَ وذِكْرَكَ إيّاهُ أنْ تَذْكُرَهُ إلّا وأنْتَ خاشِعٌ مُعَظِّمٌ، ولِذِكْرِهِ مُحْتَرِمٌ.

نَزِّهْ رَبَّكَ ذَاكِرًا اسْمَهُ بِلِسَانِكَ.

قال القاسمي: و"الأعْلى" هو الأرْفَعُ مِن كُلِّ شَيْءٍ، قُدْرَةً ومُلْكًا وسُلْطانًا.

■الَّذِي لَهُ عُلُوُّ الذَّاتِ، وَعُلُوُّ القَدْرِ، وَعُلُوُّ القَهْرِ.

قال السعدي: يأمر تعالى بتسبيحه المتضمن لذكره وعبادته، والخضوع لجلاله، والاستكانة لعظمته، وأن يكون تسبيحا، يليق بعظمة الله تعالى، بأن تذكر أسماؤه الحسنى العالية على كل اسم بمعناها الحسن العظيم.

حين تفتر النفس عن تسبيح خالقها... خذها بجولة...ناظرا في خلقك وإحسانه وإبداعه جل جلاله... في عجيب تقاديره وألطاف تدابيره... في حال الدنيا من حولك كيف كانت وإلى ما آلت... إن فقهت هذه العظمة لم تملك إلا تعود طيعة لتسبيح ربها .... اذكري الله تعالى دائما بالتسبيح والأذكار والصلاة وتلاوة القرآن حتى تكوني من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله -ρ-: "مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ". رواه البخاري

﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ ﴿2﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال الرازي: لَمَّا أمَرَ سُبحانَه بالتَّسبيحِ، فكأنَّ سائِلًا قال: الاشْتِغالُ بالتَّسبيحِ إنَّما يَكونُ بَعْدَ المعرِفةِ؛ فما الدَّليلُ على وُجودِ الرَّبِّ؟ فقال

(الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى) أي: الَّذي خَلَق كُلَّ شَيءٍ مِنَ العَدَمِ، فأتْقَنَه وجعَلَه في أحسَنِ هَيئةٍ مُناسِبةٍ له.

موسوعة التفسير

قال السعدي: وتذكر أفعاله التي منها أنه خلق المخلوقات فسواها، أي: أتقنها وأحسن خلقها.

■أي الإنسان فسوى أعضاءه بأن جعلها متناسبة غير متفاوتة.[أيسر التفاسير]

كما قال تعالى: الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ [الانفطار: 7].

وقال -عز وجل-: لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ [التين:٤] .

قال ابن عثيمين: لا يوجد في الخلائق شيء أحسن من خلقة الإنسان، رأسه فوق، وقلبه في الصدر، وعلى هيئة تامة، ولهذا أول من يدخل في قوله: {فسوى} هو تسوية الإنسان {الذي خلق فسوى} كل شيء يسوى على الوجه الذي يكون لائقاً به.

خلق كل شيء فسوى الخلقة فجعلها جميلة، انظر إلى حيوان مولود سبحان من سواه جميلا، القمر جميل ، النجم جميل، أنا وأنت ننظر في المرآة نقول: تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، ما أجملني، وقد يحسد الإنسان نفسه من طرف جماله في عينه وإن كان في عين الآخرين شيء آخر، فكل يرى جماله رجلا أو امرأة، ويرى الجمال في زوجته وفي زوجها وفي أولادهما، هذه حقيقة ما خلق الله خلقا إلا وسواه وجمله حتى الأرض، حتى السماوات: (فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ) [البقرة: 29]، خلقة مستوية، لا اعوجاج، لا تفاوت، لا شقوق ولا فطور، ولا شيء من ذلك.

فالله سبحانه وتعالى وحده هو الخالق وبماذا يخلق؟ بكلمة واحدة، { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ } [يس: 82].

كلمة واحدة، الخلائق كلها تموت وتفنى وتأكلها الأرض، وتأكلها السباع، وتحرقها النيران، وإذا كان يوم القيامة فإنما هي نفخة واحدة، فإذا هم أحياء على وجه الأرض بعد أن كانوا في بطنها،{ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ } [النازعات: 13] { إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ } [يس: 53].

كل العالم من إنس وجن، ووحوش وحشرات وغيرها كلها يوم القيامة تحشر بكلمة واحدة. فالله عز وجل وحده هو الخالق ولا أحد يخلق معه، والخلق لا يعجزه وهو عليه هين، سبح اسم ربك الأعلى، لأنه بكلمة واحدة يميت كل حي، وبكلمة واحدة يحي كل ميت ليحاسبه ويجازيه.

﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ ﴿3﴾

(وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى) أي: والَّذي قدَّرَ مَقاديرَ الخلائِقِ في ذَواتِها وصِفاتِها وأحوالِها، فهدى كُلَّ مَخلوقٍ لتَحصيلِ مَصالِحِه، وألهَمَه استِعمالَ قوَّتِه وأعضائِه وفِكْرِه في ذلك. موسوعة التفسير

قال ابن تيمية: بيانُ أنَّ اللهَ خَلَقَ الأشياءَ لحِكمةٍ وغايةٍ تَصِلُ إليها؛ فقد ذَكَرَ سُبحانَه خَلْقَه، وذَكَرَ هدايتَه وتعليمَه بعدَ الخَلْقِ؛ لأنَّ جميعَ المخلوقاتِ خُلِقَتْ لغايةٍ مقصودةٍ بها؛ فلا بُدَّ أنْ تُهدَى إلى تلك الغايةِ الَّتي خُلِقَتْ لها، فلا تَتِمُّ مصلحتُها وما أُريدتْ له إلَّا بهدايتِها لغاياتِها.

وقال أنَّه سُبحانَه خَلَقَ الحيوانَ مُهتَدِيًا إلى طَلَبِ ما ينفَعُه، ودَفْعِ ما يَضُرُّه.

وَمثال: قَدَّرَ لِصِغَارِ الْحَيَوانَاتِ كَيْفَ تَشْرَبُ حَلِيبَ أُمَّهَاتِهَا؟! فَتَجِدُ صَغِيرَ الْغَنَمِ مَثَلاً إِذَا وُلِدَ يَقُومُ عَلَى رِجْلَيْهِ، ثُمَّ يَتَّجِهُ إِلَى رِجْلَيْ أُمِّهِ وَيَبْحَثُ عَنْ ثَدْيِهَا، وَاللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- قَدْ هَيَّأَ ثَدْيَهَا عَلَى شَكْلٍ يُلَائِمُ سِعَةَ فَمِهِ، ثُمَّ يَمْتَصُّ الْحَلِيبَ وَيَتَغَذَّى بِهِ.

وَهَكَذَا الإِبِلُ أَيْضاً نَجِدُ أَنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- قَدَّرَهَا عَلَى صُورَةٍ تُلائِمُ الصَّحَرَاءَ، وَهَدَاهَا لِتَعِيشَ فِيهَا، فَتَجِدُ أَرْجُلَهَا تَنْتَهِي بِأَخْفَافٍ مُسَطَّحَةٍ، لِكَيْ تَقْدِرَ عَلَى الْمَشْيِ فِي الرِّمَالِ، وَهِيَ كَذَلِكَ تَشْرَبُ الْكِمِّيَاتِ الْكَثِيرَةَ مِنَ الْمَاءِ، فَتَبْقَى فِي الصَّحْرَاءِ الأَيَّامَ وَاللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ وَلا تَعْطَشُ، وَهَكَذَا.

إِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ (66)

قال ابن عثيمين: قدَّرَ كلَّ شيءٍ عز وجل؛ كما قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان ٢]، قدَّره في حاله وفي مآله، في ذاته وفي صفاته، كلُّ شيءٍ له قَدْرٌ محدودٌ، الآجال محدودة، الأحوال محدودة، الأجسام محدودة، كلُّ شيءٍ مقدَّر تقديرًا كما قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾.

وقوله: ﴿فَهَدَى﴾ يشمل الهداية الشرعية والهداية الكونية:

■الهداية الكونية أنَّ الله هدى كلَّ شيءٍ لِمَا خُلِق له؛ قال فرعون لموسى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه ٤٩، ٥٠]، تجد كلَّ مخلوقٍ قد هداه الله تعالى لِمَا يحتاج إليه؛ الطفل الآن.. انظر إلى الطفل إذا خرج من بطن أمِّه وأراد أن يرضع، هل فيه أحد يقول: ارفعْ رأسَك، ارضعْ من الثدي؟ لا. ولو كان فيه أحد ما فَقَّه، لكن يهديه الله عز وجل إلى هذا الثدي يرتضع منه. وانظر إلى أدنى الحشرات؛ النمل مثلًا، أين تضع بيوتها؟ لا تضع بيوتها إلا في مكانٍ مرتفعٍ من الأرض، على ربوةٍ من الأرض، لماذا؟ تخشى من السيول تدخل بيوتها فتُفسدها، أيضًا إذا جاء المطر وكان في جحورها أو في بيوتها طعامٌ من الحبوب تخرج به إذا طلعت الشمس تنشره، لماذا؟ لئلَّا يعفن، وهي قبل أن تدَّخره تأكل أطرافها -أطرافَ الحبَّة- لئلَّا تنبت فتفسد عليهم، هذا الشيء مشاهَد مجرَّب، مَن الذي هداها لذلك؟ هداها الله عز وجل، هذه هداية كونية؛ أنَّه هَدَى كلَّ مخلوقٍ لِمَا يحتاج إليه.

■أمَّا الهداية الشرعية –وهي الأهمُّ بالنسبة لبني آدم– فهي أيضًا بيَّنها الله عز وجل، حتى الكفَّار قد هداهم الله؛ يعني بيَّن لهم؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت ١٧]، والعياذ بالله، استحبُّوا الكفرَ على الإيمان.

←الهداية الشرعية هي المقصودة من حياة بني آدم؛ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات ٥٦]، وإنما أخبرنا الله بذلك لأجْل أن نلجأ إليه في جميع أُمورنا؛ إذا عَلِمنا أنَّه هو الخالق بعد العَدَم وأصابنا المرض إلى مَن نلجأ؟ نعم، إلى الله، الجأْ إلى الله؛ لأنَّ الذي خَلَقك وأَوْجدك من العدم قادرٌ على أن يصحِّح بَدَنك، إذَن الجأ إلى ربك، اعتمدْ عليه، ولا حرج أن تتناول ما أباح لك من الدواء لكنْ مع اعتقاد أنَّ هذا الدواء مثلًا سببٌ من الأسباب جَعَله الله عز وجل، وإذا شُفيتَ بهذا السبب فمَن الذي شفاك؟ الله عز وجل، هو الذي جعل هذا الدواءَ سببًا لشفائك، ولو شاء لَجعل هذا الدواء سببًا لهلاكك، فإذا عَلِمنا أنَّ الله هو الخالق فنحن نلجأ في أمورنا كلِّها إلى الله عز وجل، إذا عَلِمنا أنه هو الهادي فإننا نستهدي بهدايته، بشريعته؛ حتى نَصِل إلى ما أعدَّ لنا ربُّنا عز وجل من الكرامة.

﴿ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ ﴿4﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال البقاعي: لَمَّا كانت دلائِلُ التَّوحيدِ تارةً بالنَّفْسِ وتارةً بالآفاقِ، ونَبَّه بآياتِ النَّفْسِ، فلم يَبْقَ إلَّا آياتُ الآفاقِ، وكان النَّباتُ مِن آياتِها أدَلَّ المخلوقاتِ على البَعثِ؛ قال

(وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى) أي: والَّذي أخرَجَ مِنَ الأرضِ النَّباتَ الأخضَرَ. موسوعة التفسير

قال السعدي: (وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى) وهذه الهداية العامة، التي مضمونها أنه هدى كل مخلوق لمصلحته، وتذكر فيها نعمه الدنيوية، ولهذا قال فيها: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ أي: أنزل من السماء ماء فأنبت به أنواع النبات، والعشب الكثير، فرتع فيها الناس والبهائم وكل حيوان ، ثم بعد أن استكمل ما قدر له من الشباب، ألوى نباته، وصوح عشبه.

﴿ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ ﴿5﴾

(فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى) أي: فجَعَلَ اللهُ ذلك المرعى يابِسًا، وجعَلَ لَونَه قَريبًا مِنَ السَّوادِ بَعْدَ أن كان مُخضَرًّا ورَطْبًا. موسوعة التفسير

قال السعدي: أي: أسود أي: جعله هشيمًا رميمًا.

✡ أحوى أي: أسود.

وفي وَصْفِ إخراجِ اللهِ تعالَى المرْعَى وجَعْلِه غُثاءً أحْوى، مع ما سَبَقَه مِنَ الأوصافِ في سِياقِ المناسَبةِ بيْنَها وبيْنَ الغرَضِ المسوقِ له الكَلامُ: إيماءٌ إلى تَمثيلِ حالِ القُرآنِ وهِدايتِه، وما اشتمَلَ عليه مِن الشَّريعةِ الَّتي تَنفَعُ الناسَ، بحالِ الغَيثِ الَّذي يَنبُتُ به المرْعى، فتَنتَفِعُ به الدَّوابُّ والأنعامُ، وإلى أنَّ هذه الشَّريعةَ تَكمُلُ ويَبلُغُ ما أرادَ اللهُ فيها كما يَكمُلُ المرْعى ويَبلُغُ نُضْجَه حينَ يَصيرُ غُثاءً أحْوى، وقد جاء بَيانُ هذا الإيماءِ وتَفصيلُه بقولِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((مَثَلُ ما بَعَثَني اللهُ به مِن الهُدى والعِلمِ، كمَثَلِ الغَيثِ

الكثيرِ أصاب أرضًا، فكان منها نَقيَّةٌ قَبِلَت الماءَ فأنْبَتَت الكَلأَ والعُشبَ الكثيرَ، وكانت منها أجادِبُ أمسكَت الماءَ، فنَفَعَ اللهُ بها النَّاسَ، فشَرِبوا وسَقَوا وزَرَعوا ...)) الحديث

⬅ويجوزُ أنْ يكونَ المقصودُ مِن جُملةِ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى إدماجَ العِبرةِ بتَصاريفِ ما أَودَعَ اللهُ في المخلوقاتِ مِن مُختلِفِ الأطوارِ مِن الشَّيءِ إلى ضِدِّه؛ للتَّذكيرِ بالفَناءِ بعْدَ الحياةِ؛ للإشارةِ إلى أنَّ مُدَّةَ نَضارةِ الحَياةِ للأشياءِ تُشبِهُ المدَّةَ القصيرةَ. الدرر السنية

✍لا تتعلق بالدنيا فهي غثاء أحوى وتعلق بالأعلى ليقرئك فتنال الهداية الشرعية التي تبقى لك ولا تفنى فتزول، ويزول كل ما جمعت، ويبقى معك سبب العلو في الدنيا والاخرة سنقرئك فلا تنسى أن كتاب الله هي مصدر علوك وقربك من العلي الأعلى، (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)

﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ ﴿6﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال ابن حيان: لَمَّا أمَرَه تعالى بالتَّسبيحِ، وكان التَّسبيحُ لا يَتِمُّ إلَّا بقراءةِ ما أُنزِلَ عليه مِنَ القُرآنِ، وكان يتذكَّرُ في نَفْسِه مَخافةَ أن يَنْسى؛ فأزال عنه ذلك، وبَشَّرَه بأنَّه تعالى يُقرِئُه، وأنَّه لا يَنسى، واستثنى ما شاء أن يُنسِيَه لمصلحةٍ كالنَّسخِ وغيرِه

(سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى) أي: سنُلْهِمُك -يا محمَّدُ- قِراءةَ القُرآنِ رَغْمَ كَونِك أُمِّيًّا لا تَقرَأُ ولا تَكتُبُ، وتحفَظُه في صَدْرِك، فلا تَنْساه. موسوعة التفسير

✍قال السعدي: ويذكر فيها نعمه الدينية، ولهذا امتن الله بأصلها ومنشئها ، وهو القرآن، فقال: (سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى) أي: سنحفظ ما أوحينا إليك من الكتاب، ونوعيه قلبك، فلا تنسى منه شيئًا، وهذه بشارة كبيرة من الله لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، أن الله سيعلمه علمًا لا ينساه.

وقال القرطبي: (هذه بُشْرى مِن الله تعالى؛ بشَّرَه بأنْ أعطاه آيةً بَيِّنةً، وهي أن يَقرأَ عليه جِبريلُ ما يقرأُ عليه مِن الوَحيِ، وهو أُمِّيٌّ لا يَكتُبُ ولا يَقرَأُ، فيَحفَظُه ولا يَنساه).

قال الرازي هذا مُعجِزةٌ، وذلك مِن وَجهَينِ:

الأوَّلُ: أنَّه كان صلَّى اللهُ عليه وسلَّم رجُلًا أمِّيًّا؛ فحِفْظُه لهذا الكِتابِ المطوَّلِ مِن غيرِ دِراسةٍ ولا تَكرارٍ ولا كتابةٍ: خارِقٌ للعادةِ؛ فيكونُ مُعجِزًا.

الثَّاني: أنَّ هذه السُّورةَ مِن أوائِلِ ما نَزَل بمكَّةَ؛ فهذا إخبارٌ عن أمرٍ عَجيبٍ غَريبٍ مخالفٍ للعادةِ سيقَعُ في المستقبَلِ، وقد وَقَع، فكان هذا إخبارًا عن الغَيبِ؛ فيكونُ مُعجِزًا.

قال الواحدي: (قال المفَسِّرونَ: كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذا نَزَل عليه القُرآنُ أكثَرَ تحريكَ لِسانِه؛ مَخافةَ أن يَنساه، وكان لا يَفرُغُ جِبريلُ مِن آخِرِ الوَحيِ حتَّى يتكلَّمَ هو بأوَّلِه؛ مَخافةَ النِّسيانِ، فقال الله تعالى: سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى، وهذا كقَولِه: وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ [طه: 114] الآيةَ، وكقَولِه: لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ [القيامة: 16] الآيةَ).

✍الحفظ نعمة عظيمة وأعظم منها عدم نسيان ما حفظت .

كم هي جليلة وعظيمة نعمة حفظ الله لكتابه ... لقد تكفل مولانا جل جلاله بحفظه لنعيش في ظل خيره وبركته وعظمة منهجه في أنفسنا وضمائرنا ومجتمعنا وأخلاقنا، وقيمنا، ودنيانا، وأخرانا.

﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ ﴿7﴾

(إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى) أي: إلَّا ما شاء اللهُ أن يُنسِيَكه مِن القُرآنِ -يا محمَّدُ- وَفْقَ ما تَقتَضيه حِكْمتُه البالِغةُ. موسوعة التفسير

إلَّا ما شاء اللهُ أن يَنسَخَه فتَنْساه.

■وَقِيلَ: وَجَعَلُوا مَعْنَى الِاسْتِثْنَاءِ عَلَى هَذَا ما يقع من النَّسْخِ، أَيْ: لَا تَنْسَى مَا نُقْرِئُكَ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ رَفْعَهُ؛ فَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَتْرُكَهُ.

■إِلاَّ مَا أَرادَ اللهُ أَنْ يَنْسَخَ تِلاَوَتَهُ وَحُكْمَهُ، وَيُنْسِيَكَ إِيَّاهُ.

(إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى) أي: إنَّ اللهَ يَعلَمُ العَلانيَةَ والسِّرَّ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى [طه: 7] .

قال السعدي: ومِن ذلك أنَّه يَعلَمُ ما يُصلِحُ عِبادَه، أي: فلذلك يَشرَعُ ما أراد، ويَحكُمُ بما يُريدُ.

قال ابن كثير: أَيْ: يَعْلَمُ مَا يَجْهَرُ بِهِ الْعِبَادُ وَمَا يُخْفُونَهُ مِنْ أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ.

قال الطبري: إن الله يعلم الجهر يا محمد من عملك ما أظهرته وأعلنته ﴿وَمَا يَخْفَى﴾ يقول: وما يخفى منه فلم تظهره مما كتمته، يقول: هو يعلم جميع أعمالك سرّها وعلانيتها؛ يقول: فاحذره أن يطلع عليك وأنت عامل في حال من أحوالك بغير الذي أذن لك به.

سُبحانه يعلم عن سرّك قبل حتى أن يقع في قلبك ! يعلم عن خواطر قلبك ، يعلم عن أحلامك، نمّها بالدُعاء لتخرُج من قلبك وتراها أمامك ../ناصر القطامي

﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ ﴿8﴾

(وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى) أي: ونشرعُ لك -يا محمَّدُ- شرعًا سهلًا سَمحًا مستقيمًا عَدلًا، ونُسهِّلُ عليك أفعالَ الخَيرِ وأقوالَه، ونُوَفِّقُك للطَّريقةِ اليُسرى في كلِّ أمرٍ مِن أمورِ الدِّينِ والدُّنيا. موسوعة التفسير

قال ابن عثيمين: وهذا أيضًا وعدٌ من الله عز وجل لرسوله عليه الصلاة والسلام أن يُيَسِّره لليُسرى، فما هي اليُسرى؟ اليُسرى أن تكون أموره مُيَسَّرة، ولا سيَّما في طاعة الله عز وجل، ولَمَّا أخبر النبيُّ عليه الصلاة والسلام أنَّه ما من أحدٍ من الناس إلا وقد كُتِب مقعده من الجنَّة ومقعدُه من النار، كلُّ بني آدم مكتوبٌ مقعده من الجنَّة إن كان من أهل الجنة، ومقعده من النار إن كان من أهل النار، قالوا: يا رسول الله، أفلا نَدَعُ العملَ ونتَّكل -يعني على ما كُتِب- قال: «لَا، اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»، فأهل السعادة يُيَسَّرون لعمل أهل السعادة، وأهل الشقاوة يُيَسَّرون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل ٥ - ٧]. وهذا الحديث يقطع

حُجَّة مَن يحتجُّ بالقَدَر على معاصي الله فيعصي اللَّهَ ويقول: هذا مكتوبٌ عليَّ. نقول: هذا غلط؛ لأنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»، هل أحدٌ يحجزك عن العمل الصالح لو أردتَه؟ أبدًا. هل أحدٌ يجبرك على المعصية لو لم تُرِدها؟ أبدًا، لا أحد. ولهذا لو أنَّ أحدًا أجبرك على المعصية وأكرهك عليها لم يكن عليك إثمٌ، ولا يترتَّب على فِعْلك لها ما يترتَّب على فعل المختار لها، حتى إنَّ الكفر وهو أعظم الذنوب قال الله تعالى فيه: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل ١٠٦]، إذَنْ نقول: اعملْ أيُّها الإنسان، اعمل الخيرَ، تجنَّب الشرَّ؛ حتى يُيَسِّرك الله لليُسرى ويُجَنِّبك العُسرى، فرسول الله ﷺ وَعَده الله بأن يُيَسِّره لليُسرى فيُسَهِّل عليه الأمور، ولهذا لم يَقَع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في شِدَّةٍ وضَنْكٍ إلا وجد له مخرجًا عليه الصلاة والسلام.

قانون التيسير والتعسير: من أعطى واتقى وصدق بالحسنى، آمن بقلبه، واتقى أن يعصي الله بجوارحه، سيكون التيسير حليفه ورفيقه، وأما من بخل أن يعطي واستغنى عن طاعة الله، وكذب بالحسنى أي بالجنة التي خلق لها الإنسان سيكون العسر حليفه ورفيقه.

قال ابن القيم –رحمه الله– : " وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يُعَانِي الطَّاعَةَ وَيَأْلَفُهَا وَيُحِبُّهَا وَيُؤْثِرُهَا حَتَّى يُرْسِلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِرَحْمَتِهِ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةَ تَؤُزُّهُ إِلَيْهَا أَزًّا، وَتُحَرِّضُهُ عَلَيْهَا، وَتُزْعِجُهُ عَنْ فِرَاشِهِ وَمَجْلِسِهِ إِلَيْهَا. وَلَا يَزَالُ يَأْلَفُ الْمَعَاصِيَ وَيُحِبُّهَا وَيُؤْثِرُهَا، حَتَّى يُرْسِلَ اللَّهُ إِلَيْهِ الشَّيَاطِينَ، فَتَؤُزُّهُ إِلَيْهَا أَزًّا".